فلسفة التاريخ عند ارنولد توينبي

د. داوود المندعي *

اختلفت النظرة إلى التاريخ باختلاف العصور وذلك لصلتها بالوضع الحضاري من ناحية وبالتطورات الثقافية من ناحية ثانية ،وبرزت وجهات نظر وآراء متباينة عن التاريخ ومفهومة ، ويمكن ملاحظتها في خطين عريضين: أولهما يحاول استنباط قوانين أو وجهات عامة لسير المجتمعات البشرية في التاريخ وأصحاب هذا الخط يختلفون في إصدار وجهة نظرهم هذه فمنهم من يصدرها عن تأملات فلسفية يشتق منها قوانين أو مبادئ يطبقها على التاريخ ومنهم من يقول بالتوصل إلى تلك القوانين والفرضيات بطرق تجريبية أو استنباطية من دراسة المجتمعات البشرية وثانيهما لا يرى ذلك ، ويقرر أن التاريخ مجموعة أحداث وأوضاع مفردة لا تنتظمها قوانين أو مبادئ عامة ، على الرغم من ما قد يكون بينها من ترابط وصلات سببية ، وأن قصد الدراسة التاريخية ، هو فهم الماضي كما حدث ورفض الحكم على التاريخ ، ويرى آخرون انه لا يمكن عرض الماضي كما حدث ، ولا بد من إصدار الأحكام ويؤكد البعض ان جوانب دراسة الماضي تنطلق من مشاكل الحاضر واهتماماته ، وأن هناك انتقاء في دراسة التاريخ ، وأن هذه تصدر ممن تمثلها في مخيلة المؤرخ وذهنه وأن الحكم أمر طبيعي[1].

وكان ممن أعطى تفسيراً للتاريخ ومن أنصار الخط الأول أرنولد توينبي موضوع هذه الدراسة ، وسنعرض بلمحة مختصرة عن حياته ونشأته ، ومسيرة الفكر التاريخي لديه ثم نتناول بالعرض لفلسفة التاريخ عنده.

---

* أستاذ مساعد / قسم التاريخ /كلية التربية / جامعة صنعاء .

ولد ارنولد جوزيف توينبي في لندن في 14 إبريل (نيسان) 1889م ، من أسرة تنتمي إلى الطبقة الوسطى المثقفة ، فقد كان والده يعمل موظفاً في شركة للشاي ، وأمه حاصلة على درجة البكالوريوس في التاريخ من جامعة كيمبردج ، وجده لأبيه كان أول طبيب في لندن ، كما أن جده لأمه كان مخترعاً في مجال السكك الحديدية ، وهو من أسرة ميسورة الحال ، ولقد كان فضل أمه عليه قوياً حيث أذكت فيه حب التاريخ كما أنها ألفت كتاباً مدرسياً في التاريخ ، كما كان تأثير عمه فيه قوياً وذلك بآرائه المتحررة وشخصيته القوية [2].

تلقى أرنولد توينبي تعليمه الأولي في مدرسة داخلية في وتون كورت ، حيث أمضى فيها ثلاث سنوات ثم التحق بكلية ونشستر حيث أمضى فيها خمس سنوات (1902–1907)م وفاز في نهاية دراسته الثانوية بمنحة دراسية مكنته من مواصلة دراسته الجامعية في جامعة اكسفورد (1907–1911م) حيث درس التاريخ القديم ، وعين في تلك الجامعة بعد تخرجه ، وأرسلته جامعة اكسفورد للدراسة في المدرسة البريطانية للآثار في أثينا (1911–1912م) فقضى هناك عاماً واحداً ورجع بعد ذلك إلى جامعته وأعطى أهمية كبيرة لهذه الفترة التي قضاها في اليونان ، ورأى أنها كانت تكملة لثقافته الإغريقية ، وأنها كانت سبباً في نقله من عالم اليونان والرومان القديم إلى عالم القرن العشرين[3].

كما تلقى توينبي تعليماً ممتازاً في الموضوعات الكلاسيكية (ونقصد بها التاريخ اليوناني القديم ، والتاريخ الروماني ، واللغتين اليونانية واللاتينية وآدابهما) ، وقد درس اللغة اللاتينية وهو في السابعة من العمر، ولمدة خمسة عشر عاماً، ودرس اليونانية القديمة وهو في العاشرة ولمدة اثني عشر عاماً، وقد أتقن هاتين اللغتين اتقاناً تاماً، كما أن العبارات اللاتينية واليونانية ترد كثيراً في كتابه (دراسة التاريخ) دون ان يحاول ترجمتها – وقد أخذ عليه بعض النقاد ذلك – كما استطاع ان يتعلم في المدرسة وفي الجامعة اللغات الفرنسية والألمانية واليونانية الحديثة ، وأن يلم بالتركية وبالعربية فيما بعد [4].

شغل توينبي منصب أستاذ التاريخ واللغات والآداب البيزنطية واليونانية الحديثة بجامعة لندن خلال الفترة (1919–1924م) حين اضطر لتقديم استقالته[5] وفي عام 1924م عرضت عليه وظيفة مدير المعهد البريطاني للشئون الدولية (الذي سُمي فيما بعد بالمعهد الملكي للشئون الدولية) أو (دارشاتام) ليتولى إصدار حولية (مسح للشئون الدولية) فقبلها، وظل توينبي يعمل في (دارشاتام) ثلاثة وثلاثين عاماً، كما ظل يعمل حتى عام 1955م أستاذاً باحثاً للتاريخ في جامعة لندن [6].

كان لاهتمام توينبي بمسح الشؤون الدولية اقتران بكتابه الضخم دراسة للتاريخ فقد استطاع توينبي أن يكمل عمله بالمسح بعمل آخر ألا وهو كتابه دراسة للتاريخ، فقد اقترن عمله مسح بدراسة للتاريخ فيما كان الأول بحثاً في الحاضر كان الثاني بحثاً في الماضي، وقد استفاد العملان من بعضهما[7].

شرح توينبي في (دراسة في التاريخ) فلسفته للتاريخ، وقد جاءته فكرة الكتاب كتعليق على الجوقة الثانية من مسرحية (انتيجونه) لسوفوكليس، وأنه كتب أثناء سفره بالقطار من استانبول إلى لندن في 17 أيلول 1921م على نصف ورقة قائمة تضم نحو اثني عشر عنواناً، وقد ظلت هذه العناوين – مع تغيير طفيف – عناوين الأقسام الثلاثة عشرة في كتابه (الدراسة)، وبدأ يكسو هذه الدراسة لحماً في عام 1927م، غير أن البداية الجدية كانت في عام 1930، وفي عام 1934، أصدر المجلدات الثلاثة الأولى من كتابه، وقبل الحرب العالمية الثانية بإحدى وأربعين يوماً أصدر ثلاثة مجلدات أخرى، واستطاع أن يحتفظ بمذكراته الخاصة بالكتاب في نيويورك أثناء الحرب العالمية الثانية، وشغل بالحرب فلم يبدأ بالعمل على إتمام كتابه إلا في عام 1947، وفي عام 1954 أصدر أربعة مجلدات أخرى هي تتمة الكتاب، وعاد وأصدر في عام 1959 المجلد الثاني عشر تحت عنوان مراجعات[8] وفي عرضنا هذا استعنّا بطبعة سنة 1979 من دراسة للتاريخ A study of History [9] في اثني عشر مجلداً وقد اشتمل على مقدمة تناول فيها نسبية الفكر التاريخي، ووحدة الدراسة التاريخية، والدراسة المقارنة للحضارات، ومولد الحضارات، ومدى التحدي والاستجابة، ونمو الحضارات، والدول العالمية، والكنائس العالمية، وعصر البطولة، والتعاصر بين الحضارات والقانون، والحرية، ومستقبل الحضارة الغربية، واهتمامات المؤرخين.

سار الفكر التاريخي عند توينبي بثلاثة مراحل [10]:

المرحلة الأولى: وتمتد إلى عام 1919 تقريباً وهي تعكس ذهنية توينبي خلال الجزء الأكبر من هذه المرحلة ثقافة أبناء جيله والتيارات السائدة في عصره فمن حيث المعتقد الديني نجده في أول نشأته مؤمناً مثل والديه بتعاليم كنيسة إنجلترا البروتستانتية في إطارها اللاهوتي والأخلاقي، كما نشأ في جيل ركز أعلام مؤرخيه اهتمامهم بالتاريخ القومي ولم يهتموا بغيره من التواريخ إلاّ من حيث اتصالها به، وعليه فقد اتخذوا من التاريخ القومي وحدة للدراسة التاريخية، وقد تأثر توينبي بذلك الاتجاه، كما نشأ توينبي كذلك تحت تأثير النظرة السائدة بين الغربيين من جيله إلى الحضارة الأوروبية على إنها حضارة متفوقة .

المرحلة الثانية: وتمتد هذه المرحلة من عام 1919 إلى أواخر الثلاثينات، وفي أوائل هذه المرحلة أخذ توينبي يفكر جدياً في كتابة دراسته للتاريخ، وبدأت الفكرة تدور بذهنه في صيف 1920، في العام التالي وضع الخطوط العريضة لمخطط الدراسة، على أنه لم يشرع في الكتابة إلاّ في صيف عام 1930 بعد أن كان قد وسع مخططه فأغناه بالتفصيلات والعناوين الفرعية. وقبل نشوب الحرب العالمية الثانية بواحد وأربعين يوماً كان قد نشر المجلدات الستة الأولى منه.

وفي الفترة الممتدة بين نشوب الحرب العالمية الأولى وشروعه في الكتابة قد انعتق من عدة أفكار ومفهومات تاريخية رئيسة واعتنق عدداً آخر إما بتأثير مجرى الأحداث و بتأثير المؤرخين وغيرهم، وفيما يأتي تعليق موجز على أهم هذه الأفكار والمفهومات:

1ـ الحرب:

كان موقفه تقليدياً قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، ومع نهاية الحرب اقتنع بأن الحرب ليست مؤسسة تستحق الاحترام، ولا خطيئة عابرة وإنما هي جريمة.

2ـ الحضارة لا التاريخ القومي وحدة الدراسة التاريخية:

ومن أهم التطورات في فكر توينبي خلال هذه المرحلة هو تحوله من التاريخ القومي إلى المجتمع أو الحضـــارة كوحـــدة للدراســـة التاريخية، ويقول بأنه ما حلّ صيف عام 1920 حتى وجد نفسه متفقاً مع شبنجلر على هذه الفكرة، فقد اقتنع أن عبارة الدولة القومية والإيمان بتفوقها قد أفسدت منظور الأوربيين التاريخي وجعلتهم يتمحورون على أنفسهم ويتخذون من تاريخهم نقطة الدائرة، ومن تاريخ الأمم الأخرى حواشـــي لهـــا، ويبدو أن الفكرة قد تبلورت بعد مخاض طويل وبفعل عدة روافد جانبية في مقدمتها اقتناع توينبي بوحدة التجربة الإنسانية، وقد غذى فكرة توينبي عن التعاصر الحضاري وتساوي الحضارات فلسفياً عـــدد من المؤرخين منهم الفرد زمرن (Alfted Zimmern) الذي ذهب إلى ضرورة إلغاء الحواجز التي أقامها المؤرخون بتقسيمهم للتاريخ إلى قديم ومتوسط وحديث، وب.ج. تيجارت (Tegagrt) الذي أنار الســـبيل أمـــام توينبي بقوله " إن الخطوة الأولى في دراسة الإنسان ينبغي ان تكون بالرجوع إلى الحاضر"، ولدراسته العميقة الشاملة للتاريخ الإغريقي الروماني، كما غذت شمولية نظرته آراء عدد كبير من الساسة والمفكـــرين والكتاب والمؤرخين كما وجد في مسرحية فاوست للشاعر الألماني جوته ضالته فقد استمد من تحـــدي مفســـتوكليس (Maphistocles) فكـــرته عن التحدي والاستجابة، وأما الصيغة اللغوية ذاتها للفكـــرة فقـــد اســـتمدها مـــن بيت شعر لروبرت برواوننج (Browning) يقول فيه: " ألا يمكنك أن تـــتحداهم ؟ ولا اســـتجابة "، وبذلك صار لدى توينبي تفسيراً لنشأة الحضارة، واتخذ من توالي التحديات والاستجابات نمطاً يفسر انتقال الحضارة من حال إلى حال، ويفسر كذلك سقوطها في النهاية وذلك عندما تعجز عن الاستجابة بشكل صحيح للتحديات.

3 – المرحلة الثالثة:

وتمـــتد مـــن أواخـــر الثلاثيـــنات وتستمر حتى وفاته – 22 أكتوبر 1975 في نيويورك، نورث يوركشـــير– وفـــيها نشـــر توينبي المجلدات الأربعة الباقية من دراسته في هذه المرحلة التي تبدأ من نشوب الحرب العالمية الثانية وتمتد إلى حين وفاته، ومن الملاحظ أن توينبي في هذه الأثناء أعمل يد التعديل والتغيير في أكثر من مفهوم له .

إن نقطـــة البداية في فكر توينبي هي أن كل جزئية من جزئيات التاريخ لا يمكن ان تؤخذ بمعزل عن جملة سياق التاريخ كله، فليس بمقدور أحد أن يقتطع شريحة من التأريخ ليضعها تحت مجهره ويختبر جزيئاتها ويستنبط مغزاها فليس هناك تاريخ أمة من الأمم يمكن أن يفهم بعيداً عن مجرى التاريخ وسياقه، ولا يمكن

أن يفسر الحدث التاريخي الواحد نفسه بنفسه بل هو لغز لا يمكن أن تفك مغاليقه إلاّ من خلال ربطه بالأحداث المتعاقبة في سياق التاريخ، ويضرب توينبي مثلاً لذلك، تأريخ بريطانيا ويتساءل هل بالوسع أن يفهم تاريخ الأمة البريطانية فهماً صحيحاً بمعزل عن سياق التاريخ العام، وينتهي إلى القول بأنه لا التاريخ القومي البريطاني ولا غيره من تواريخ الأمم والشعوب والحضارات يمكن أن يقوم كحقيقة توضح نفسها بنفسها، وإن التجربة التاريخية تغنيها وتشارك فيها عناصر تاريخية عديدة تؤثر في أجزائها المختلفة وتشكل معضلاتها وتحل هذه المعضلات أيضاً من خلال مسلك تاريخي شديد التشعب والتشابك، وهكذا يؤكد توينبي أن الجزء لا يمكن ان يفهم إلاّ بدراسة الكل وإخضاعه لعملية تركيز تستوعب جوانب كل الجزئيات في أطول سياق تاريخي ممكن وأوسعه[11].

لقد وجد توينبي في الحضارة الكاملة المقابلة لأجزاء معزولة منها بصورة مصطنعة مثل الدولة القومية مفهوماً للدراسة، وانطلق من مبدأ رئيسي هو ان مادة التاريخ هي حياة أقسام موحدة من البشرية أسماها مجتمعات، وذكر منها مجتمع المسيحية الغربية ، ومجتمع المسيحية الشرقية أو البيزنطية، والمجتمع الاسلامي، والمجتمع الهندي، ومجتمع الشرق الأقصى، وهي مجتمعات ماتزال قائمة كحضارات في الوقت الحاضر.

"We can hardly advance further in our search for an 'intelligible field of study' without reviving or inventing some name to denote our society as a whole and to distinguish it from other representatives of the species ...it seems preferable to revive the name 'Western Christendom' ... on this plane, we can distinguish unmistakably the presence in the world of today, of at least four other living societies of the same species as ours: orthodox Christian of Byzantine society ... an Islamic society A Hindu Society ... (for Eastern society)[12].

كما أن هناك مخلفات متحجرة لمجتمعات قد بادت.

(Fossilized relics of similar societies now extinct)[13]

ويصف العلاقات والاختلافات بين هذه المجتمعات (الحضارات) السابقة الذكر بأنها اختلافات مسكونية (عالمية) Oecumenical في حين يطلق على الاختلافات في نطاق المجتمع الواحد بأنها اختلافات داخلية (قومية) Parochial.

"for the advancement of historical knowledge, it seems desirable that our historians should distinguish the parochial relation between states within societies from the Oecumenical relations between the societies themselves.[14]

وحقل الدراسة التاريخية عند توينبي متسع وعلى المؤرخ أن يستبصر ويميز الوحدات الحضارية، ويقوم بدراسة العلاقات على المستويين السابق ذكرهما، ويركز توينبي اهتمامه على (مجتمع غرب أوروبا

المسيحي) فيدرسه دراسة تراجعية حتى يصل إلى جذوره الأولى، ثم يطبع نفس المنهج على الحضارات الأربع المتبقية التي هي أكثر قدماً من حضارة غرب أوروبا، ويفيض في دراسة العلاقات بين هذه الحضارات.

"in the process of tracing the history of our western society backward towards its origins, we strike upon the last phase of another society of the same kind, the origins of which evidently lie considerably further back I the past" (15)

وسارت الدراسة لديه وفقاً لمفاهيم حدودها فيما يأتي :

فكرة البنوة والأبوة :

المتمثلة في العلاقة بين مجتمع غرب أوربا والمجتمع الهليني .

"the chapters in the history of one and the same society resemble the successive experiences of a single person; the affiliations' and apparentations' between one society ad another resemble the relations the relations between parent and child"(16)

فكرة المدنية المقابلة للبدائية :

فالمجتمع إما بدائي أو متمدين، وغالبية المجتمعات بدائية، وهي صغيرة المساحة جغرافياً، قليلة السكان، قصيرة الأجل، تلقى نهايتها غالباً بطريقة عنيفة على يد مجتمع متمدين ومتبربر، أما المدنيات فهي أقل عدداً من البدائيات، ولكنها أوسع مساحة وتبني الوحدة فيها لا على الفرد وانما على الطبقة.

"we can at once remark a specific difference of a purely quantitative kind. The humber of known civilizations is small. In a survey of human societies in all parts of the world in every age from the preset to the remotest past on which our modern westerns archaeology yet throws any light. We have succeeded in collecting only twenty one specimens of civilizations, and we have been compelled to concede that no less than ten of these twenty-one compelled to may possibly turn out of to be distinct and separate specimens in their own right. The number of known primitive societies is vastly greater. In 1915 three western anthropologists , .., drew up a list of about 650 societies…(17)

فكرة أوقات الاضطراب (Interregnum)

وهي الفترة الفوضوية التي تأتي بين تآكل أحد المجتمعات وقيام مجتمع آخر وفق مفهوم البنوة، ومن أبرز الأمثلة على هذا فترة العصور الوسطى المظلمة التي تقع بين وفاة الهلينية وقيام مجتمع غرب أوروبا المسيحي، فقد كان المجتمع الهليني يلفظ أنفاسه الأخيرة، وكان البرابرة على مقربة من المسرح وقت وفاته ، فقد كان مصاباً بجروح عميقة أصاب بها نفسه في أوقات المتاعب Time of Troubles لقرون خلت،

وعلى هذا فإن البرابرة ما كانوا أبداً قتلة ذلك الميت العظيم، وإنما اقتصر دورهم على القيام بدور النسور التي نهشت الجيفة.

"the barbarians made their passage felt being in the death of the Hellenic society; but they cannot eve claim the disjunction of having delivered the death blow; for by time when overran the Roman Empire, the Hellenic society was already moribund a suicide slowly dying of wounds self – inflicted during 'time of Troubles centuries before. Thus the Barbarians were not the assassins of the mighty dead, they were merely the vilures feeding on the carrion or the maggots crawling in the carcass. And the very process of dissolution which had brought them on to the scene determined the duration of their existence ; since this transitory interregnum to corruption and decay was the only environment in which they were able to thrive"(18)

فكرة البروليتاريا الداخلية Internal Proletariat

وهي مجموعة الأفراد داخل المجتمع الذي لا يدينون له بشيء سوى وجودهم الفيزيقي، وقد يقدر لهـذه المجموعة من البروليتاريا أن تصبح العامل المهيمن على هذا المجتمع الذي تنتمي إليه عن طريق البنوة، والـبروليتاريا الداخلية في حالة الحضارة الهلينية هي الكنيسة المسيحية التي جعلت تتكون من تحت الأرض حتى قدر لها قدرها أن تبتلع الإمبراطورية كلها.

"the catholic church in its first phase conformed to the pattern to the Roman political universe by incorporating into it self the whole of the internal proletariat. In this phase the university of the church fell short of that of the Empire in some as sense hold together of the internal proletariat, was for greater than the Empire's hold over either portion of the proletarian under world (19)

فكرة البروليتاريا الخارجية External Proletariat

ومـن مثيلـتها حـركة هجـرات الشعوب المتبربرة التي كانت تهيم على وجهها وقت احتضار الحضـارة الهلينـية، إن القبائل الجرمانية والسلافية والرماتية والهونية هي البروليتاريا الخارجية التي كانت خاضـعة لسلطان الحضارة الهلينية الرومانية، ثم تحركت وقت وفاة الحضارة الهلينية ثم أقامت لنفسها ممالك على نفس التربة الهلينية، ويحلو لأصحاب هذه الدويلات المتبربرة أن يطلقوا عليها (عصر البطولة).

"A third phenomenon which is associated with the apparentations and affiliation of the Hellenic and the western society is the Volkerwanderung in which the external proletariat of the Hellenic Society came down in spate from the o-man's –land beyond the frontiers of the Roman Empire – Germans and Slavs from the forests of Northern Europe,... the ephemeral 'successor – states' which were set up on the

former territories of the Roman Empire By these barbarian war – bands shored the stage of history with the church during the interregnum between the disappearance of the Hellenic society and emergence of our western society – an inter rename which was the barbarians' heroic age.

إن البروليتاريا الخارجية، والبروليتاريا الداخلية تتضافران في الإجهاز على المجتمع الأب الذي كان يسيطر عليها، وذلك لتحلا محله [20].

فكرة الدورة العالمية والكنيسة العالمية :

بمفهوم المؤسسات التي تضم بين جنباتها كل مناحي الحياة السياسية الدينية للمجتمع الذي تقوم فيه هذه المؤسسات.

"the evidential value of 'universal churches' is absolute, because churches belong by nature to the future as well as to the past. The evidential value of 'universal states' and Volkerwanderung is conditional [21]

فكرة المجتمعات التي كانت متمدينة على زمانها ثم بادت أو تحجرت:

ومـــن قبيل ذلك الحضارة السومرية والمينوية والحشية والبابلية والاندياية والمكسيكية والمصرية، ويطلق على هذه الحضارات البائدة لفظة fossils

"the fossils the information which we have now obtained by investigating the affiliation of all the living societies will enable us at once to identify the extinct societies which are represented to day by certain fossils; Minoan, p.92: Sumeric p. 104; Hittite, p.110; Babylonaic, p.115;Andean, p.119; Yucatec, Maxic. And Mayan, p. 123; Egyptiac , p.128 [22]

وبعد هذا يقوم توينبي بدراسة مقارنة للحضارات – المجتمعات – وأسئلته الرئيسية هي :

2. كيف تظهر الحضارات ولماذا ؟
3. ثم كيف تنموا ، ولماذا ؟
4. وكيف تنهار، وأسباب ذلك ؟

فهـــو يلاحـــظ الحالة التي يكون فيها المجتمع البدائي، والتي تسوده حالة اطمئنان وركود، وحالة الحضارة وهي حالة حركة مستمرة، ومسيرة التاريخ برأيه تصدر عن التحول من حالة الركود والمحافظة إلى حالـــة الـــتقدم الخـــلاق، ويمـــثل هذا التحول تنمو الحضارات ويحدث هذا عندما تتعرض الحضارة لتحد Challenge فتســـتجيب له استجابة ناجحة Response وبذلك لا تقتصر على تجاوز المحنة بل تولد في نفسها القدرة على مواجهة تحديات مقبلة وبتوالي مواجهة التحديات باستجابات أكبر تنمو الحضارة وتنمو حيوية الناس الداخلية، ويتحول العمل والتحدي في الخارج إلى الداخل ، ومن كفاح الناس للسيطرة على

محـيطهم إلى كفـاح للسيطرة على نفوسهم، والحضارة في نموها تخلق تدريجياً لنفسها تحدياتها وتصبح أكثر تقريراً لمصيرها، فمقياس النمو هو تقرير المصير[23].

وكمـا يقـول في مـرحلة مولـد أو تكوين Genesis الحضارة بقانون (التحدي والاستجابة) (Challenge and Response) – كمـا ذكرنا سابقاً وهو يرفض الرأي الشائع بأن الحضارة تولد في البيـئات التي تتيسر فيها ظروف المعيشة للإنسان ويرى أن مولد الحضارة عملية خلق تتضمن تغيرات حتى في عوامل الزمن نفسه، ويضرب لنا مثلاً على هذا بأن الرأي السائد منذ القدم أن الحضارة قد نشأت أول مـا نشـأت في مصـر بسبب خصوبة أرضها ووفرة مياه نيلها، ولما وصف الكتاب الإغريق أرض مصر وصـفوها عـلى أنها (هبة النيل)، غير أن الأبحاث العلمية الجادة تشير إلى أن هذا القول ينطوي على خطأ كـبير، ذلـك لأن حضارة مصر الراعية ليست هبة من النيل بقدر ما هي حصيلة جهود الإنسان المصري الذي أقام الجسور وروض النيل وحطم الأحراج وأقام المقاييس ورصد النجوم وتوصل إلى حسابات السنة الشمسية وتقاويمها، أي أن الإنسان المصري هو الذي سيطر على الطبيعة وأخضعها لخدمة الإنسانية.

(the agricultural Egypt of modern times is as much a gibt of man as it is of the Nile)24[24]

ويضـرب توينـبي أمثلة عديدة لتوضيح جهود الإنسان البطولية في صراعه مع الطبيعة وتحدياتها، ويسـتخلص من هذه الدراسات المتتابعة أن (اليسر هو عدو الحضارة) (We have how perhaps established decisively the truth that ease is inimical civilization"[25]

والى جانب الظروف الطبيعية القاسية يساعد انتقال الحضارة من موطنها الأصلي إلى أرض جديدة عـلى التقدم، ويطلق توينبي على هذا العامل حافز الأرض الجديدة (Stimulus of New Ground) ويضرب أمثلة على ذلك بالحضارة البابلية التي اكتمل كيانها في آشور، وهناك حافز آخر يساعد على تقدم الحضـارة وهو ما يسميه توينبي باسم (حافز الضربات المفاجئة) (Stimulus of Blows) فالدول التي تجـتاحها جيوش الإمبراطوريات القوية، سرعان ما تفيق من هول الكارثة وتعمل على بناء نفسها من جديد للارتقـاء بمستواها لكي تتمكن من مواجهة تحديات المستقبل بجهد بطولي خارق، ويضرب أمثلة على ذلك منها ما أصاب العثمانيين على يد تيمورلنك في واقعة أنجورة، ولكن العثمانيين وجدوا هذه الضربة المفاجئة حافـزاً لهم ليقوموا من هذه الكبوة فيحققوا مكاسب مذهلة، فبعد نصف قرن من هذه الكارثة تمكن محمد الفاتح من دخول القسطنطينية فاتحاً عام 1453م[26].

وهناك حافز آخر يولد شرارة الحضارة هو حافز (الضغوط الخارجية)timulus of pressures ومـثال ذلك الحضارة السومرية، فلقد قامت حضارة سومر وأكاد على يد أسرة سومرية مقرها بلدة أور (Ur) في قلب الحضارة السومرية، ثم اعيد بناء هذه الإمبراطورية بعد فترة التدهور على يد العموريين في

عاصـــمتهم بـــابل (بوابـــة الآلهة) وهي نفس البوابة التي شهدت ضغوط البدو على أن القوة السياسية قد انتقلت في إطار الدولة السومرية من الداخل إلى تلك البقعة التي كانت معرضة للضغوط الخارجية.

(Thus, in the Sumeric universal state, political power passed from the interior to the march on which the heaviest external pressure was being exerted) (27)

وهـــناك أيضـــاً حافـــز القصاص (Penalization) الذي يولد بدوره شرارة الحضارة، بمعنى ان الجماعـــة التي تتعرض للعقاب أو القصاص من جانب جماعة أخرى متسيدة تحاول التعويض عما أصابها من خطر بابتكار أساليب جديدة لفرض وجودها وإثبات كيانها، ومثال ذلك ما حدث عندما اضطهد الرومان الجماعـــة المســـيحية الباكرة من العبيد وفقراء القوم، فلقد سعى هؤلاء المضطهدون إلى التماسك والتسلح بقـــوة الإيمـــان حـــتى قـــدر لهـــم في نهاية الأمر ان ينتصروا عندما أصبحت ديانتهم هي الديانة الرسمية للإمـــبراطورية كـــلها: (إن قمع العبادة المسيحية على السطح في روما الوثنية هو الذي دفع المسيحيين ان يخلقـــوا روما مسيحية في الكهوف تحت سطح الكمبانا (بإيطاليا) ونجحت المدينة السفلية في ان تتغلب على مدينة السطح مدينة التلال السبعة.

(The prohibition of Christian worship on the surface of pagan Rome Stimulated the Christians to create for themselves anew Christian Rome in the catacombs below the surface of the catacombs ; and he city of the catacombs eventually triumphed over the city of the seven Hills) (28)

والـــرأي لدى توينبي أنه كلما ازداد التحدي تصاعدت قوة الاستجابة حتى تصل بأصحابها إلى ما يسميه باسم الوسيلة الذهبية (Golden mean).

ثم يتـــنقل توينـــبي للحديث عن مرحلة نمو الحضارات، فبعد مولد الحضارة تتوقع لها أن تنتقل إلى طـــور النمو، غير أن بعض الحضارات لا يتأتى لها طور للنمو الكامل فيكتب عليها التجمد لتصبح حضارة أســـيرة (Arrestedcivilizations) ومـــن أمـــثلة هـــذه الحضارات البولونيزية والاسكيمو والبدو والإسبرطيين ، لقد قامت هذه الحضارات نتيجة لقانون التحدي والاستجابة،ولكنها تجمدت في استجاباتها لأنها ظلت على ما هي عليه دون محاولة لاستخدام الحكمة في استغلال ظروف التحدي.

وعـــن مـــرحلة النمو يورد توينبي معايير للنمو الحضاري، فالنمو ينبغي ان يكون من خلال مسير يمضـــي بالمجتمع من تحد إلى استجابة ثم إلى تحديات جديدة واستجابات لهذا الجديد. ومن أبرز معايير النمو الحضـــاري ازديـــاد سيطرة الإنسان على البيئة التي تحيط به بظروفها الطبيعية المختلفة، ثم تطوير أسلوب معالجـــته لتلك الظروف حتى تكون صنوف الاستجابة نجاحاً مقابل صنوف التحديات بالنجاح أيضاً، وهذا النجاح المتولد بين كل تحد واستجابة هو التقدم الحضاري بمعنى انه المحك الأمثل الذي يجعل من أية حضارة

نامـــية صـــاحبة الإرادة في تقرير مصيرها وذلك عندما يتأتى لها الاستيعاب لبيئتها وعناصر تحدياتها وحقل صراعاتها.

(Growth means that the growing personality or civilization tends to become its own environment and its own challenger and its own field of action) (29)

والـــنمو الحضاري لا يتأتى إلا على يد أفراد خلاقين أو على أقليات مبتكرة فهي التي تحدد نوعية الاســـتجابة الـــناجحة للـــتحديات، لتسير بالمجتمع إلى الأمام تجر من ورائها تلك الأغلبية الكسولة (غير الخلاقـــة)، ان النمو الحضاري هو دينامية الحياة وهي من فعل الأقليات النشطة، أما بقية أفراد المجتمع من الخـــاملين فهـــم شركاء الملايين من أهل الكهف في كل أركان الأرض، ويجاهد الخلاقون لكي يجذبوا من ورائهم هؤلاء الكسالى لكي يلحق المجتمع بالموكب الحي.

(In every growing civilization, even at the times whine it is frowning the most lustily, the great majority of the participant individuals ere in the same Stagnant quiescent condition as the members of a primitive society which is in state of rest) (30)

وأســـهب توينبي في الحديث عن أولئك الأفراد الذين قادوا تلك القلة المجاهدة على درب التقدم الـــذي اضطر كل فرد منهم في بداية الأمر إلى الانسحاب ثم عاد إلى المسرح من جديد يعلن الثورة للأخذ بـــيد الجماعـــة إلى الأمام، فأورد إسهامات هؤلاء العمالقة أمثال القديس بولص، القديس بندكيت، بوذا، النبي داوود، صولون الأثيني، يوليوس قيصر، النبي محمد(صلى الله عليه وسلم)، مكيافيللي، ابن خلدون، ...وغيرهم من العمالقة (31).

ثم ينتقل توينبي للحديث عن مرحلة تدهور الحضارات وانهيارها، فمن بين 26 حضارة توفيت 16 حضـــارة، ولم يـــبق مـــنها سوى عشر وهي: الحضارة الغربية (الأوربية)، الحضارة الارثوذكسية الشرقية، الحضـــارة الارثوذكسية الروسية،، الحضارة الإسلامية، الحضارة الهندية، حضارة الشرق الأقصى (الصين)، الحضـــارة اليابانـــية، الحضـــارة البولونيزية، حضارة الاسكيمو، حضارة البدو الرحل، وتبدو البولونيزية والبدوية اليوم في مرحلة الاحتضار، كما أن سبعاً من الثمان الباقيات تتعرض أحياناً لخطر الامتصاص على يد الحضارة الغربية(32).

إن تدهـــور الحضـــارات هو محصلة الفشل في محاولة العلو بالإنسان من درك الحيوان إلى مستوى آدمي شبيه بتلك الشركة المأثورة عن مجتمع القديسين.

" These breakdown are failures in an audacious attempt to ascend from the level of a primitive Humanity, the living the life of asocial animal to the height of some superhuman kind of being in a communion of Saints"(33)

ويتمـــثل هـــذا الفشل في فقدان الخلق وإفلاس القادة وذبول القوة الدافعة عند الجماهير (فحيث لا خلق ينتفي التماثل).

"where there is no Creation, there is also no mimesis"(34)

ويـــأتي تمـــزق المجتمع دوماً من الداخل، عندما تشعر البروليتاريا الداخلية بأن السحر البراق الذي كان في أيـــدي قـــادتهم قـــد علاه الصدأ ولم يعد يفيد، والتصدع لا يأتي من الخارج على يد حضارة أجنبية فتية، وينحصـــر مـــا تقوم به تلك الحضارة الفتية القوية في توجيه ضربة لكيان قد انتحر بالفعل (إن أكبر عدو للإنسان هو الإنسان ذاته)(35).

"The greatest danger to man is man".

ومـــن أسباب انهيار الحضارة هو فقدان الانسجام بين عناصر مكوناتها مما ينتج عنه فقدان المقدرة على تقرير المصير.

"A society breaks through a loss of harmony between its parts which is paid for by the society as a whole of self – determination".

ومـــن دواعـــي فقدان الانسجام ظهور تيارات اجتماعية جديدة ودخولها إلى حياة مجتمع ما، ثم محاولـــة إقحـــام هذا الجديد بعلاته على نظام لم يكن أصلاً ليستوعب هذا الجديد، ولا هو يتسع له، وهذا شبيه (بالنبيذ الجديد في القنائن العتيقة).

"Neither do men put new wire into old battles – else the bottles break and the wire runneth out and the bottles perish; but they put new wine into new bottles, and both are preserved (36)

ولكي لا تتحطم (القنائن العتيقة) ينبغي عند إدخال قوى ديناميكية جديدة أو مؤثرات خلاقة ان يصـــاحب ذلـــك وفي نفس الوقت إعادة بناء كل النظم القديمة على أساس يُتمكن معه من مواكبة الجديد والانسجام معه وهذا يعني ضرورة الاستجابة الصحيحة التي تتصدى للتحديات الجديدة(37).

ومـــن أسباب انهيار الحضارة أيضاً أن القلة التي اتسمت بالخلق واستجابت لتحد في القديم تمسي أقـــل اســـتجابة للتحديات الجديدة، وهنا تظهر قلة جديدة تستطيع مجابهة التحدي الجديد، وإذاً فإن القلة القديمـــة تقـــف موقـــف المعارضة من القلة الثانية، لأن الأولى قد احتلت مناصب قيادية هامة لا ترغب في التنازل عنها، ويتخذون موقفاً سلبياً تجاه الحاضر ويفتتنون بالماضي – كما يظهر لدى بعضهم – وقد يتخذ ذلـــك الموقف السلبي شكل عبادة الشخص لذاته أو لتراث مجتمعه في فترة من الفترات – كما يظهر لدى الـــبعض الآخر – دون النظر إلى القوانين الدينامية التي تفرضها التحديات الجديدة وضرورة الاستجابات بأساليب جديدة(38).

وأبـــرز مثال على عبادة الذات هم اليهود فقد بدأ تاريخهم في إطار الحضارة السورية، وبلغ قمته عـــلى عهد أنبيائهم، ثم نجح بنو إسرائيل ويهوذا في الوصول إلى فكرة التوحيد فملأ الغرور رأسهم وادعوا

أنهـــم (شعب الله المختار) وقد أعماهم هذا الزهو فتردوا في خطأ مبين هو عبادة ذاتهم والتشبث عند مرحلة تاريخـــية قد عفا عليها الزمان وتخيلوا من خلال هذا الوهم الزائف أن السماء تمطرهم الامتياز والرفعة على سائر مخلوقات الأرض، فأصيبوا لهذا كله بالعقم.

"In this delusion which was amoral as an intellectual fault the Jews 'rested on there oars' when they were called upon to respond to a new challenge ... they persuaded themselves to be God's chaser people..."[39]

ومن عوامل انهيار الحضارات أيضاً ازدياد دق طبول الروح العسكرية لتتغلب روح الحرب على نفـــوس أبناء المجتمع، ويؤدي ذلك إلى الانتحار العسكري Suicidalness of Militarism والأمثلة على ذلك كثيرة، منها سيرة شرلمان، وتيمورلنك[40].

ثم يتحدث توينبي عن دور الاحتضار، فبعد انهيار الحضارة يأتي دور الاحتضار، ومن مظاهر ذلك الاحتضار انتشار الفصام في جسم المجتمع فيتمزق كيانه، ويواكب هذا الخلل انفصام في الروح حيث تظهر الفلســـفات الانهزامـــية مثلما كانت الحال في القديم مع الأبيقوريين والكلبيين والرواقيين، وقد يتطرق هذا الاتجـــاه إلى حـــد (حـــب المـــوت) تحت ستار الاستشهاد، وما هو في حقيقة الأمر إلاّ ضرب من ضروب الانتحار، هروباً من مشاكل الحياة وتحدياتها، وتنعكس مظاهر التمزق على إنتاج المجتمع فترى فيه الغث في الأدب والسوقية والتبربر في الفن[41].

وفي أوقـــات المتاعب هذه نشاهد قيام الدولة العالمية، وفي ثنايا هذه الأوقات تنشأ الكنيسة العالمية التي تستغل نظام الدولة العالمية في تقوية ذاتها حتى تصبح الأخرى مؤسسة كبرى سرعان ما تنافس الدولة، ولـــذا فـــإن رجالات الدولة العالمية سرعان ما ينقلبون على تلك الكنيسة العالمية بسبب ازدياد نفوذها، ثم انهـــم يعملـــون عـــلى التخلص منها فيلصقون بها شتى الاتهامات ويشيرون إليها على أنها المسئولة عن كل الكـــوارث التي تحل بالمجتمع، ويتضح هذا الصراع الأزلي في تلك الأحداث التي وقعت في القرنين الثالث والـــرابع للميلاد بين الإمبراطورية الرومانية (الدولة العالمية)، وبين المسيحية (الكنيسة العالمية) ويرى توينبي ان الكنيســـة لهـــا ما يبرر وجودها لأنها الإطار الوحيد الذي يحافظ على ما قد تبقى في الدولة من حضارة، فهي أشبه ما تكون بالشرنقة التي تصل بين مرحلة هلاك حضارة ومولد أخرى[42].

ويـــرى توينـــبي في خلفية كل حضارة من الحضارات المتبقية كنيسة عالمية تمكنت من خلالها من أن تدخل بالبـــنوة في أحضان حضارة اكثر عراقة، كما يرى أن المهمة التي تضطلع بها الكنيسة العالمية مهمة حضارية بالغـــة الخطورة، ذلك انه في حين ان الدولة العالمية تجاهد للمحافظة على توازنها خوفاً من السقوط النهائي بأســـاليب القمع والردع والتخويف والإحباط تمد الكنيسة يدها إلى الطاقات الإنسانية المتخوفة والمتراكمة وتفـــتح لهـــا آفاقـــاً جديدة أو قنوات لتوجه من خلالها زفرات الضيق في أسلوب إيجابي وهكذا فيما تأخذ الدولة العالمية في الهبوط تأخذ الكنيسة العالمية في الصعود[43].

ثم ينـــتقل توينبي لمعالجة الصدام بين الحضارات ، ويكرس مساحة كبيرة لمعالجة الحضارة الغربية ثم يعالج تلك الصدامات التي وقعت بين الحضارة الغربية وحضارات العالم الخارجي: في روسيا، والهند، والعالم الإسلامي، والشرق الأقصى، ومع الهنود الحمر.

ويستخلص من هذه المعالجة أن الحضارة الغربية مهددة بالانهيار،ومن بين العوامل التي أسهمت في تصـــدع الحضـــارة الغربية عودة الأوروبيين إلى نظام الرق الذي كان سبباً في انهيار الحضارة الهلينية قديماً، وقـــد تفشت آفة الرق مع التوسع الاستعماري الأوربي وفي ركب الثورة الصناعية،ولم يلغ الرق إلاّ بفضل جهـــود التيار الديمقراطي الذي أخرجه ابراهام لنكولن، أما عن الحروب الطاحنة التي اكتوت بها الحضارة الغربـــية فهـــي من فعل ثورتها الصناعية، ولولا مقاومة النظم الديمقراطية لازداد الاستعمار جنوباً، ويرجع الكاتب الفضل في كبح جماح الحروب إلى منظمات الأمم المتحدة التي يسند عليها الأمل الكبير.

ويعـــترف توينبي – في مرارة – أن مركز الصدارة اليوم قد خرج من أيدي الحضارة الغربية وآلَ إلى القوتـــين العظميين أمريكا، وروسيا، وهو يتساءل في حيرة: كيف كان ذلك ؟ وهذا السؤال بعينه، هو الـــذي حرك الكاتب الكبير لأن يمسك بقلمه ويغوص في سجلات الماضي السحيق عبر حضارات الإنسان لعله يستبصر كيف دخلت تلكم المجتمعات في بوابة الموت[44].

بعـــد هذا العرض لفلسفة التاريخ لدى توينبي هناك بعض الانتقادات[45] فيرى إسحاق عبيد ان المـــبادئ الـــتي يسير عليها أرنولد توينبي في دراسته للتاريخ مبادئ مستعارة من مناهج العلوم الطبيعية التي تقـــوم أساساً على العلاقات الظاهرية والتي يكون فيها عمل العالم الطبيعي واضحا وسليماً فهو يفصل بخط واضـــح بين حقيقة وأخرى بمعنى انه لا يجب ان يحدث أي تداخل، وعلى ما يبدو فإن هذه المبادئ الخاصة بعـــالم الطبـــيعة هـــي نفس المبادئ التي سار عليها توينبي في دراسته للتاريخ فهو يقسم حقل الدراسة إلى وحدات أو حضارات، وتمثل كل منها تكاملاً ذاتياً.

كمـــا أن أيـــة حضارة من الحضارات يمكن لها في تطورها أن تأخذ أشكالاً جديدة مع بقاء بعض العناصر القديمة التي تمثل حضارة من حيث هي وقدمها، وهذا ما لا يقبله توينبي فهو يرى أن الحضارة التي تـــتغير تكـــشف عن الحياة أو تنقرض، لتحل محلها حضارة مغايرة تماماً،وما ينطبق في رأي توينبي على البعد الـــزماني ينطبق على البعد المكاني فنظريته تفرض فواصل مصطنعة وقاطعة بين حضارة وأخرى، وهذا يلغي مفهوم تفاعل الحضارات الواحدة مع الأخرى.

اعـــتمد توينـــبي في مصادره لدراسة التاريخ وتتبع قصة مولد الحضارة ونموها وتدهورها اعتماداً عـــلى المصـــادر المكتوبة ولم يتوقف لجمع مادة من آثار تلك الحضارات وفي هذا إغفال بالغ الخطورة لمن يـــتعرض لمولد الحضارة، ولكن لا نطالب المؤرخ بأن يكون في الوقت نفسه عالماً بالآثار، كما أن توينبي – على ما يبدو – لم يكرس هذه الدراسة لإنسان ما قبل التاريخ بقدر ما هي سجل لحضارة الإنسان التاريخي

صـــاحب الســـجلات المكتوبة وستظل دراسته إضافة عملاقة شملت قصة الحضارة منذ فجر التاريخ حتى عصرنا الحاضر.

كمـــا يذكر البرت حوراني في كتابه (نظرة في التاريخ) A Vision on History معلقاً على دراسة توينبي للتاريخ أنه كان واضحاً منذ البداية أن الكتاب رائع حتى عندما ينظر إليه من ناحية سطحية جـــداً باعتباره مخزناً للحقائق، فهو يضم ألواناً من الحقائق الغريبة والمشوقة حول العالم الإنساني بل أن أكثر القـــراء عرضـــة إذا نظر إلى صفحة هنا أو هناك سيخرج وقد زادت حصيلته من المعرفة وتعمق إحساسه بغرابة الحياة البشرية[46].

ومـــن الملفـــت للنظر أن توينبي كان يقدر ما يكتب عنه حتى وإن وصل الأمر إلى حد تجريحه أو النـــيل من آرائه فكثيراً ما كتب يوجه الشكر والعرفان إلى معارضيه وخصومه مؤكداً أنه يسعد بالنقد حتى ذلك النقد الذي لا يستهدف النيل من آرائه. مؤكداً أنه لا يكفي أن الناقد أعطى شيئاً من وقته واهتمامه لما كتب إذ أن تجاهل النقاد لما يكتبه المؤلف ربما يكون أشد وأقسى[47].

وأثبت توينبي مرونته واستعداده لتغيير آرائه ويكفي أن نشير إلى انه اختص المجلد الثاني عشر من دراسته، والذي يقع في 745 صفحة لمناقشة نقاده ومراجعة آرائه، وقد ذكر في مقدمته لذلك الجزء انه من الأفـــيد أن يحـــاول المرء أن يستفيد من ناقديه أكثر من أن يحاول الصراع معهم، وأن ما كتبه بالفعل كان يحـــتاج إلى إعادة نظر بسبب تزايد المعرفة والأفكار والآراء الجديدة التي تجمعت منذ بدء صدور مؤلفه عام 1934، فمـــنذ ذلك الوقت ملأت فجوات معرفتي وإضافة إلى الرحلات وزيارة أماكن لم أكن أعرفها إلا عـــلى الخـــرائط معلومات كثيرة، بالإضافة إلى ماجد من استكشافات أثرية حديثة مما لزم معه مراجعة ما كتبت[48].

الهوامش والتعليقات :

(1) : عبد العزيز الدوري : فلسفة التاريخ (عرض تاريخي) ، مجلة أعلام الفكر (الكويت) ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، اغسطس سبتمبر 1971م ، ص 65-66 ، وسيشار إليه فيما بعد الدوري : فلسفة التاريخ .

(2) : Toynbee , Arnold (Josaph) in New Encyclopaedia Britannica , 15th Edtion Encyclopaedia Britannica , Inc , Vol : 11 , ، و سيشار إليه فيما بعد :Britannica : Toynbee . p.880 ، صدقي عبدالله حطاب : أرنولد توينبي ، مجلة عالم الفكر (الكويت) ، المجلد الخامس ، العدد الأول ، ابريل ، مايو ، يونيو ، 1974 ، ص 292-293 ، وسيشار إليه فيما بعد ، حطاب توينبي .

(3) : حطاب: توينبي، ص193. Britannica Toynbee, 11,p880.

(4) : حطاب: توينبي، ص293. Britannica Toynbee, 11,p880.

(5) : حطاب: توينبي، ص293. Britannica Toynbee, 11,p880.

(6) : فؤاد محمد شبل: توينبي مبتدع المنهاج التاريخي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، ص13، وسيشار إليه فيما بعد شبل: توينبي.

(7) : حطاب: توينبي، ص295-296.

(8) : حطاب: توينبي، ص296.

(9) : Arnold Toynbee: A study of History vols. 1-12, the Royal Institute of International Affairs, Oxford university press, 1979, وسيشار إليه فيما بعدToynbee: A study

(10) : محمود زايد: سيرة الفكرة التاريخي عند توينبي، في كتاب بحوث مهرجان المؤرخ توينبي اشرف على اعدادها وطبعها عالية احمد سوسة، هاشم صالح التكريتي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 139، ص ص63-75، وسيشار إليه فيما بعد، زايد: سيرة الفكر. Britannica: Toynbee, vol, 11p. 880, vol, 93, vol.25,p. 689,691.

(11) : توينبي، أرنولد: مختصر دراسة التاريخ، ترجمة: فؤاد محمد شبل، ج1، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الدول العربية ،القاهرة، ط1966،2م ، ص ص3-20، وسيشار إليه فيما بعد توينبي: مختصر.

(12) : الدوري : فلسفة التاريخ، ص78، عبيد ، إسحاق : معرفة الماضي من هيردوت إلى توينبي، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، ص120، Toynbee: A study, vol. I,pp34-35

(13) : الدوري: فلسفة التاريخ، ص78، عبيد: معرفة الماضي، ص121، Toynbee: A study, vol. I,p35-

(14) : الدوري: فلسفة التاريخ، ص78، عبيد: معرفة الماضي، ص121، Toynbee: A study, vol. I,p36-

(15) : عبيد: معرفة الماضي، ص 121، Toynbee: A study, vol. I,p43

(16) : عبيد: معرفة الماضي، ص 121، Toynbee: A study, vol. I,p44

(17) : عبيد: معرفة الماضي، ص 122، Toynbee: A study, vol. I,p48

(18) : عبيد: معرفة الماضي، ص ص122-123، Toynbee: A study, vol. I,pp61-62

(19) : عبيد: معرفة الماضي، ص ص 123-124، Toynbee: A study, vol. I,p56

(20) : عبيد: معرفة الماضي، ص 125.

(21) : عبيد: معرفة الماضي، ص 125، Toynbee: A STUDY , vol. I,p62

(22) : عبيد: معرفة الماضي، ص 125-126. Toynbee: A STUDY , vol. I,pp90-129.

(23) : الدوري: فلسفة التاريخ ، ص ص 78-79.

(24) : عبيد: معرفة الماضي، ص 126-127، Toynbee: A STUDY , vol. I,p1-2

(25) : عبيد: معرفة الماضي، ص 127، Toynbee: A STUDY , vol. I,p31

(26) : عبيد: معرفة الماضي، ص ص127-128.

(27) : عبيد: معرفة الماضي، ص 128، Toynbee: A STUDY , vol. I,p133

(28) : عبيد: معرفة الماضي، ص ص 128-129، Toynbee: A STUDY , vol. I,pp209-210.

(29) : عبيد: معرفة الماضي، ص 134-135، Toynbee: A STUDY , vol. I,p216

(30) : عبيد: معرفة الماضي، ص 135، Toynbee: A STUDY , vol. I,pp220-222

(31) : Toynbee: A STUDY , vol. I,pp248-332.

(32) : عبيد: معرفة الماضي، ص ص136-137.

(33) : عبيد: معرفة الماضي، ص 136، Toynbee: A STUDY , vol. I,pp5

(34) : عبيد: معرفة الماضي، ص 137، Toynbee: A STUDY , vol. I,pp5

(35) : عبيد: معرفة الماضي ، ص137.

(36) : عبيد: معرفة الماضي، ص 137، Toynbee: A STUDY , vol. I,pp133

(37) : عبيد: معرفة الماضي، ص 137.

(38) : عبيد: معرفة الماضي، ص 137.

(39) : عبيد: معرفة الماضي، ص 137-138.

(40) : عبيد: معرفة الماضي، ص 139.

(41) : عبيد: معرفة الماضي ، ص140.

(42) : عبيد: معرفة الماضي ، ص141.

(43) : عبيد: معرفة الماضي، ص142.

(44) : عبيد: معرفة الماضي، ص 142.

(45) : عبيد: معرفة الماضي ، ص ص 134-146.

(46) : جمال زكريا قاسم: ارنولد توينبي وناقدوه ، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، العدد 9 ــ 1978، ص222، وسيشار إليه فيما بعد قاسم: توينبي.
(47) : قاسم: توينبي ، ص 223.
(48) : قاسم: توينبي ، ص 224.

المراجـــع

أولاً : الكتب العربية:

(1) : زايـد، محمود: سيرة الفكر التاريخي عند توينبي في كتاب بحوث مهرجان المؤرخ توينبي، أشرف على إعدادها وطبعها عالية احمد سوسة، هاشم صالح التكريتي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1399هـ-1979م، ص ص60-75.

(2) : سوسة، عالية أحمد، التكريتي، هاشم صالح (إشراف على الإعداد والطبع): بحث مهرجان المؤرخ توينبي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1399هـ-1979م.
(3) : شبل، فؤاد محمد: توينبي مبتدع المنهاج التاريخي الحديث،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 1975م.
(4) : عبيد، إسحاق: معرفة الماضي من هيردوت إلى توينبي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1981.

ثانياً: الدوريات العربية:

(5) : حطـاب، صدقي عبد الله: ارنولد توينبي، مجلة عالم الفكر (الكويت) ابريل، مايو، يونيو، 1974، ص ص289-310.
(6) : الـدوري، عبد العزيز: فلسفة التاريخ (عرض تاريخي) مجلة عالم الفكر (الكويت) المجلد الثاني، العدد-الثاني أغسطس-سبتمبر 1971، ص ص65-83.
(7) : شـبل، فـؤاد محمد: فلسفة التاريخ عند توينبي، مجلة المجلة (القاهرة) العدد 58، السنة الخامسة، جمادى الثاني - نوفمبر 1961، ص ص18-23.
(8) : شـبل ، فؤاد محمد : التحدي والاستجابة في دراسة توينبي، مجلة الفكر المعاصر (القاهرة) السنة الأولى، العدد 1، 1965، ص ص36-44.
(9) : قاسـم، جمـال زكريا: ارنولد توينبي وناقدوه ، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة) العدد 9، 1978، ص ص221-224.

ثالثاً: الكتب المترجمة:ـ

(10) : توينبـي أرنولد: مختصر دراسة التاريخ، ترجمة: فؤاد محمد شبل، لجنة التأليف والترجمة والنشر بجامعة الدول العربية، القاهرة، ط1966،2.

(11) : ويدجيري، البان: المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس إلى توينبي، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت، 1972.

رابعاً: الكتب الأجنبية:

Toynbee, Arnold
(12) : A study of History vols 1-12, the Royal Institute of International Affairs, Oxford university press, 1979.

خامساً: دائرة معارف:

(13) :Toynbee, Arnold (Joseph)
In the new enculopaedia Britannica, 15th Edition, Enlyclopaedia Britannica, Inc, vol. 11,p.880, Vol. 23,p.190, Vol. 25, pp. 689, 691.